

جريمة استخدام السلاح المحظور دولياً ضد الشعب العراقي وأبعادها بين الصمت واللاإكتراث والنتائج

كاظم المقدادي

طبيب أطفال، وباحث عراقي مقيم في السويد.

تمهيد

تبعاً للعديد من الآراء القانونية والعلمية يعتبر استخدام ذخيرة اليورانيوم المضعف أو الناضب (Depleted Uranium) للأغراض العسكرية جريمة دولية، لكونها تقع ضمن فئة «أسلحة الدمار الشامل» المحظورة دولياً وفقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ولجنة الأسلحة التقليدية المتتالية: في ١٢/٨/١٩٤٨، وفي ١١/١٢/١٩٧٥ (الرقم 30/3479)، وفي ١٠/١٢/١٩٧٦ (الرقم 74/31)، وفي ١٢/١٢/١٩٧٧ (الرقم 84/32)، وفي ١٣/١٢/١٩٧٨ (الرقم B/84/33). وقد اعتبرت هيئة الأمم المتحدة، قبل أكثر من عقدين، أن إبرام اتفاقية حظر استخدام وإنتاج وتخزين جميع أنواع أسلحة الدمار الشامل، النووية والكيميائية والبيولوجية، وتدميرها، من أولى المهام الملقة على عاتق المجتمع الدولي. وجددت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، في دورتها في عام ١٩٩٦، إدانتها لاستخدام ذخيرة اليورانيوم الناضب (أو المنضب) بوصفها من أسلحة الدمار الشامل. ولقد أكد العديد من العلماء والخبراء المعنيين، ومنهم: البروفيسور الدكتور غونتر والبروفيسور ديتز، والبروفيسور ديوراكوفيتش، والبروفيسور ميركاري، وغيرهم، أن هذا النوع من اليورانيوم هو من النفايات النووية الناتجة من عملية تخصيب اليورانيوم، وهو مشع وسام كيميائياً، ذخيرته ذات اختراق هائل، ومادتها مشتعلة بشكل طبيعي. عند اختراقها للهدف (الدبابة مثلاً) تشتعل ذرات اليورانيوم الناضب، وعند انفجارها يتولد منتج بالغ السمية والإشعاع، ويتوزع على شكل غيمة إشعاعية إلى مسافة عشرات الكيلومترات. وعندما يرتطم اليورانيوم الناضب بجسم، فإنه يخترقه، ويشتعل، ويحرق كل شيء: الوقود، والذخائر، وحتى البشر - كما يقول البروفيسور عساف ديوراكوفيتش، وهو طبيب وخبير بالطب النووي. وتؤكد التقارير العلمية والعسكرية أن معضلة استخدام ذخيرة اليورانيوم المنضب تكمن في أن آثارها لا تنتهي بتوقف العمليات الحربية، فالطلقة التي تصيب هدفها تقوم بحرق الدروع وقتل أو حرق طاقم العربة المدرعة، أما الطلقة التي تخطئ الهدف فتذهب لتستقر في تربة أرض المعركة. وفي الحالتين يستمر الأذى المترتب عن بقايا اليورانيوم. فالعربة المدرعة المضروبة تبقى ملوثة لعشرات السنين، وتحتاج إلى عمليات كيميائية وميكانيكية

معقدة للحد من بقايا الملوثات فيها. أما آثار التلوث المترتبة عن اختلاط اليورانيوم بالتربة، فتشكل كارثة بيئية بعضها آني، والآخر مؤجل. فعدا الأثر الموضعي، السمي والإشعاعي، لليورانيوم المنضب، فإن جزيئاته تنتشر عن طريق الرياح، ومن خلال المياه الجوفية، لتغطي مساحات شاسعة تتجاوز الرقعة الجغرافية لأرض المعركة.

إن التعرض لتأثير ذخيرة اليورانيوم المنضب يتسبب - وفقاً لوثيقة صادرة عن السلاح الطبي الأمريكي - بارتفاع حالات السرطان (في الدم والعظام والربو) وتلف الكليتين والكبد وجهاز المناعة، ويسبب أيضاً فقر الدم والتشوهات الجينية. ولذلك حذر تقرير سري لهيئة الطاقة الذرية البريطانية (UKAEA) المسؤولين البريطانيين من عواقب استخدام ذخيرة اليورانيوم على السكان، وبخاصة الأطفال، الذين هم أكثر وأخطر تأثراً بأضراره، وذلك لمعرفة الهيئة المختصة بأن قذائف اليورانيوم عندما تصيب الدبابات والأهداف الأخرى تطلق غباراً ساماً يسبب السرطان، وحتى الركام الذي تخلفه يشكل خطراً على من يقترب منه..

- ١ -

بعد صمت طويل، تكلم البنتاغون، في أواخر العام المنصرم، عن السلاح الفتاك الذي استخدمه في حرب الخليج الثانية ضد العراق. وجاء ذلك رداً على ما طرح في المؤتمر الذي عقد في بغداد، يومي ١ و ٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٨، والذي خصص لتأثير اليورانيوم المنضب (Depleted Uranium)، وشارك فيه باحثون عراقيون وخمسون طبيباً وخبيراً أجنبياً، من عشرين دولة عربية وأجنبية، من بينهم العالم الألماني س. هـ. غونتر، إضافة إلى عدد من قدامى المحاربين الأمريكيين والبريطانيين الذين يعانون أعراض «مرض حرب الخليج». ويبدو أن المؤتمر استفز البنتاغون بما سلطه من أضواء على الكارثة البيئية والصحية المستمرة الناجمة عن استخدام ذخيرة اليورانيوم من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في الحرب ضد العراق، وبما كشفه من تزايد هائل للإصابات بحالات السرطان، وبخاصة في جنوب العراق، بعد أن تمادى بصمته واستهانت بالنتائج الكارثية وبآلاف الضحايا الأبرياء، وخصوصاً من الأطفال، وبكم هائل من الأدلة والحقائق، حتى بعد أن صدر، في مدريد، في ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٦، قرار إدانة المحكمة الدولية لجرائم الحرب ضد الإنسانية من قبل مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ضد العراق (التي تشكلت بمبادرة من وزير العدل والنائب العام الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية رامسي كلارك) الذي استند إلى كثرة من أدلة الإثباتات، ومن بينها: «استخدام طائفة واسعة من الأسلحة غير المشروعة، منها صواريخ وقذائف تحتوي على اليورانيوم غير المخصب، لوثت التربة والمياه الجوفية بإشعاعات خطيرة للغاية، بل ومميتة، بعض الأحيان، سوف تؤثر على السكان لآلاف السنين، وعمليات هجومية إجرامية على مصانع الأسمدة ومبيدات الحشرات، وعلى مستودعات المنتجات الزراعية والغذائية، وكذلك على صهاريج النفط وغيرها، معرضة سكان العراق للتلوث الكيميائي، والإشعاعات، ومسببة الموت، والممرض، والإصابات المستديمة»..

لأول مرة اعترف البنتاغون (وزارة الدفاع الأمريكية) علناً باستخدام قواته لذخيرة اليورانيوم المنضب خلال حرب الخليج الثانية، لكنه رفض، من جديد، الاتهامات بأنها السبب وراء انتشار حالات السرطان لدى الأطفال العراقيين، التي اتخذت طابعاً «وبائياً» بعد الحرب مباشرة.. وبهذا الاعتراف، المتأخر جداً، عرى البنتاغون نفسه بنفسه، وأكد، رغماً عنه، تستره، طيلة أعوام عديدة، مع سبق الإصرار والترصد، على جريئة دولية كبرى لا تغتفر بحق الشعب العراقي، والشعوب المجاورة، وبحق جنوده وجنود حلفائه أيضاً، بعد أن ظل ينفي ويكذب، طيلة

السنوات السبع المنصرمة، استخدام قواته العسكرية، وتجريبها على الشعب العراقي، لأسلحة ومعدات حربية محظورة دولياً، خلافاً واقتهاكاً للمعاهدات والقرارات الدولية، التي تمنع استخدام المواد المشعة في الأغراض العسكرية.

على أنه، برغم اعترافه هذا، وأصل تماديه بنفي وتكذيب العشرات، بل والمئات، من البراهين والقرائن والتقارير والدراسات العلمية والطبية، ومن ضمنها العسكرية، الصادرة عن مؤسسات وفرادى بحثية متخصصة - منها، على سبيل المثال: معهد العلوم والأمن القومي في واشنطن، وهيئة الطاقة الذرية البريطانية، وجماعة السلام الأخضر «غريس بيس» الأمريكية، وجامعة هارفرد للصحة العامة ببوسطن، والبروفسور الأمريكي ليونارد ديتز، والبروفسور الألماني الدكتور سيغفر هورست - غونتر، والجنرال الفرنسي بيير ماري غالوا، والمؤرخان العسكريان روبرت بيب وكارولين جيمكي، وجمعية المحاربين القدماء في الخليج وعوائلهم البريطانية، وجمعية المحاربين القدماء في الولايات المتحدة، والباحثون: جيف سيمونز، وفيليب تايلور، ومايكل كيلى، وديلير هيرو، وغيرهم، والمئات من التحقيقات الصحفية الميدانية لـ: «NBC»، وتلفزيون لندن - القناة الثانية بالاتفاق مع الغارديان، ولوموند ديبلوماتيك، ونيويورك تايمز، والإنديبندينت، والأوبزرفر، وواشنطن بوست، ونيوزويك، ولوس انجلس تايمز، وغيرها، التي تؤكد، بما لا يقبل الشك، ليس فقط استخدام الولايات المتحدة وبريطانيا، أثناء حرب الخليج الثانية ضد العراق، لأسلحة ومعدات حربية تدميرية جديدة ومتطورة، صنع بعضها من مواد محظورة دولياً، أضافتهما لترسانتهما من أسلحة الدمار الشامل، فحسب، بل تكشف النقاب أيضاً عن أضرارها التدميرية، ومنها: الحالات السرطانية..

وواصل موقفه الصلف هذا على رغم علمه بأن آثار جريمة استخدام ذخيرة اليورانيوم الناضب لم تقتصر على الشعب العراقي وحده، بل وشملت الشعوب المجاورة، وبخاصة الكويت والسعودية (التي فضحها، على سبيل المثال، البروفسور الدكتور سيغفر غونتر في دراسات عديدة مفصلة)، وكذلك الألوف من الجنود الأمريكيين والبريطانيين، حيث بلغ عدد الأمريكيين الذين يعانون أعراض «مرض حرب الخليج» وحدهم - باعتراف الأوساط المقربة للبنتاغون - أكثر من مئة ألف، وعلى رغم إعلانه ووزارة الدفاع البريطانية، غير مرة، عن إجرائها لتحقيقات حول المشكلة، وإن ثبت عدم جدية تلك التحقيقات، بل وإزاء عدم صدقية الإدارة الأمريكية، في هذا المضمار، شكك عدد من أعضاء الكونغرس الأمريكي، وباحثون علميون، بالتحقيقات التي قامت بها اللجنة الرئاسية ونتائجها في عام ١٩٩٦، واتهموا البيت الأبيض والبنتاغون بأنهما «لم يقوما بما فيه الكفاية لمعرفة الحقيقة، ويتستران، عمداً، لحجب الحقيقة، وتجنباً للإحراج والتعويض ولئلا تنم معالجة المصابين على حساب الدولة».. وحتى في «تقصيه عن الحقائق» لمعرفة أسباب «مرض حرب الخليج» ركز البنتاغون، دائماً، على أعراضه وسط الجنود الأمريكيين فقط، وبمنحى تكذيب القرائن والآراء التي تربط تلك الأعراض بالتعرض لآثار أسلحة الدمار الشامل، التي استخدمت أبان الحرب، مع التجاهل التام والصلف لآثارها المدمرة والخطيرة التي تعرض لها الشعب العراقي، وتتفاقم يوماً بعد آخر، منذ ثمانية أعوام..

وبما أن «حبل الكذب قصير» فقد اعترفت وزارة الخارجية البريطانية، قبل وزارة الدفاع الأمريكية، بأن القوات البريطانية، التي شاركت في حرب الخليج الثانية، استخدمت قذائف دبابت مشعة باليورانيوم الناضب لزيادة قدرتها المدمرة للدروع. وإن أنكرت، كالعادة، شأنها شأن الإدارة الأمريكية «وجود أية مؤشرات على أن اليورانيوم الناضب مسؤول عن حالات السرطان المتزايدة في جنوب العراق» - كما ورد في بيانها، مستندة في ادعاءاتها هذه إلى مصادر وزارة الدفاع البريطانية، المنسقة مع مصادر البنتاغون الأمريكي، المواصله لإنكار وجود دلائل على

تأثير اليورانيوم المستخدم في أسلحتها وتسببه في ظهور أمراض غريبة غير معهودة... لكنه أعلن فيما بعد أن وزارة الدفاع البريطانية تجري - تبعاً لصحيفة صانداي تايمز^(١) - أبحاثاً سرية حول تأثير اليورانيوم الناضب لمعرفة الأعراض التي يسببها واحتمال علاقته بظهور «مرض حرب الخليج» الذي أصاب نحو ٢٠ ألف جندي بريطاني. وقالت الصحيفة «إن الوزارة تدرس اليورانيوم كأحد الاحتمالات المسببة للمرض المذكور». وتأتي هذه الأبحاث البريطانية بعد إعلان الولايات المتحدة عن «فتح مناقشات حول استخدام اليورانيوم».

- ٢ -

نعود إلى اعتراف البنتاغون الأمريكي باستخدام دبابات ومقاتلات أمريكية ل ذخيرة اليورانيوم في حرب الخليج الثانية، ونفي المتحدث باسمه كينيث بيكون أن تكون لها علاقة مع السرطان، بقوله: «أعتقد أن هذه الاتهامات عارية عن الصحة تماماً»، لكنه اعترف: «ما زلنا ندرس مضاعفات التعرض لليورانيوم المستنفذ... ولأن الإدارة الأمريكية «تعتقد» وهو ما يعني «عدم القطع»، سادلو بدلوي بما جمعت من أدلة وإثباتات موثقة، تفند اعتقادات ومزاعم السلطات الأمريكية والبريطانية بـ «عدم علاقة حالات السرطان بين الأطفال العراقيين ب ذخيرة اليورانيوم» التي استخدمتها قواتهما ضد العراق، مستنداً بالدرجة الأولى، إلى المصادر الغربية.. إنني لم أساهم في المؤتمر المذكور، ولا أعلم الغرض الحقيقي منه، في تلك الأيام بالذات، لكنني اعتبر مشاركة باحثين وخبراء أجانب، إضافة لضحايا حرب الخليج الثانية، خطوة صحيحة على طريق الوصول إلى الحقيقة، ولا سيما أنهم ساهموا بهذا القدر أو ذاك، بتسليط الضوء - كما أفادت وكالات الأنباء العالمية - على حجم الكارثة الصحية الناجمة عن استخدام اليورانيوم، على رغم أن المؤتمر جاء متأخراً جداً، ضمن نهج النظام في إحجامه، لسنوات طويلة، عن الإفصاح عن حجم الكارثة، ومآسيها، وتداعياتها، التي يشترك، مشاركة أساسية، في تحمل مسؤوليتها، مجارياً بذلك نهج الإدارة الأمريكية، التي أخفت الحقيقة حتى عن جنودها وجنود حلفائها، ولم تحذر حتى الذين قاموا برفع عدد من الدبابات الملوثة لفحصها، ولم تبلغ خبراء إزالة الألغام، ولا عمال التعمير في الكويت، وغيرهم، عن المخاطر التي يسببها التلوث الإشعاعي. ولا تزال تنكر، وتنفي، وتراوغ، وتعرقل، منعاً للوصول إلى الحقيقة والوقوف على حجم الجريمة التي اقترفتها بحق الألوف من البشر، وما زالت مآسيها تتفاقم وتطال المزيد والمزيد، بينما هي تتباهى بـ «النظام العالمي الجديد» الذي تتزعمه، وإنها «أكبر داعية» لحقوق الإنسان!!

لم يعد سراً - للكثيرين من المتتبعين - أن نهج الإدارتين الأمريكية والبريطانية بالإصرار على النفي والتكذيب يُراد به التستر على جريمة كبرى بشعة، اقترفتها قواتهما بحق الشعب العراقي والشعوب المجاورة، أخذت تتكشف خيوطها وأسرارها، تدريجياً، وخصوصاً بعد أن ثبت علاقة انتشار الأمراض السرطانية والتشوهات الخلقية في العراق والمنطقة - كما سيرد بعد قليل - باستخدام ذخيرة اليورانيوم المضعف، وإن آثارها طالت، من دون إرادة الإدارتين المذكورتين، عشرات الآلاف من الأمريكيين والبريطانيين وغيرهم. ففي الوقت الذي واصلت الإدارتان الإنكار والتستر وحجب الحقيقة، لوحظ تزايد الحالات السرطانية حتى وسط أفراد قواتهما العسكرية من المشاركين في حرب الخليج الثانية. فقد كشفت جمعية المحاربين البريطانيين في الخليج وعوائلهم أن دقائق اليورانيوم، التي تطايرت من القذائف التي سقطت على

العراق والكويت يمكن أن تكون قد لعبت دوراً كبيراً في حدوث حالات السرطان بين الضحايا من المحاربين البريطانيين. وكانت مجموعات المحاربين القدماء في الولايات المتحدة الأمريكية قد ذكرت في تقرير لها أن ٤٠٠ ألف من أفراد القوات الأمريكية يحتمل أن يكونوا قد تعرضوا لليورانيوم المضعف (DU) الذي وضع على رؤوس القذائف والقنابل التي استخدمتها قوات التحالف الغربية ضد العراق. وقدم برنامج بثته محطة «NBC»، في شباط/فبراير ١٩٩٤، حالتين للتلوث الإشعاعي المحتمل جراء تعرضهما لإشعاعات اليورانيوم المضعف - الأولى هي العريف داريل كلارك، الذي كانت مجموعته على مقربة من الدبابات العراقية التي دُمرت، وقد ولدت ابنته بعد الحرب ولديها أورام وتشوهات خلقية، والتي تعود - بحسب تشخيصات أطباء الجيش الأمريكي - إلى تعرض والدها إلى إشعاعات اليورانيوم. والثانية - الممرضة كارول بيكو، التي تعرضت لمجموعتها الطبية لدخان وغبار منبعث من الدبابات العراقية المحترقة، وهي تعاني حالة مرضية تشبه، على نحو كبير (بحسب رأي طبيبها الدكتور توماس كالندرا المتخصص بالتعرض للذرات والجزيئات السامة والإشعاعات) حالات أشخاص تعرضوا لمواد مشعة (Radioactive). وقد حضرت كارول مؤتمر بغداد السالف مع جنود بريطانيين وأمريكيين «من أجل كشف أبعاد الجريمة التي تعرضوا لها مع سكان المنطقة» (الخليج)، معلنة أن ما تعانيه، يعانيه ١٥٠ مجنداً أمريكياً تعرفهم، وقد تأكد أنه يعود إلى إشعاعات اليورانيوم المستخدم في الحرب. وأعلن المجند البريطاني ري برستو، في المؤتمر، أنه و١٤ من زملائه المشاركين في مفرزة طبية في منطقة حفر الباطن، قد مرضوا جميعاً، وتأكد أن مرضهم يعود لتعرضهم لإشعاعات اليورانيوم. واعترف الجيش الأمريكي بـ «تعرض بعض جنوده عن طريق الخطأ إلى إشعاع اليورانيوم أثناء حرب الخليج». وثمة الكثيرون من المتخصصين (كغونتر، وديتز، وميركاري، وديوراكوفيتش، وغيرهم) يعتقدون جازمين أن أعراض «مرض حرب الخليج» تعود إلى التعرض لتأثير ذخيرة اليورانيوم. والحقائق التي سترد بعد قليل تؤكد صحة تشخيصاتهم.

- ٣ -

من نتائج حرب الخليج الثانية على المنطقة نشير، باختصار، إلى أن نيك كوهين أفاد عام ١٩٩١ في صحيفة *The Independent on Sunday* بأن تقريراً سرياً لهيئة الطاقة الذرية البريطانية (UKAEA) حذر الحكومة البريطانية من مغبة استخدام ذخيرة اليورانيوم^(٢). وأشارت فيلبيثوت في صحيفة *Scotland on Sunday* إلى أن الهيئة المذكورة حذرت وزارة الدفاع البريطانية بأن الأطفال يتأثرون بالإشعاع، تائراً سلبياً قوياً، إذا استخدمت ذخيرة اليورانيوم الناضب في حرب الخليج، منوهة في مذكرتها إليها بأنه «عندما تصيب قذائف اليورانيوم الناضب الدبابات والأهداف الأخرى فإنها تطلق غباراً ساماً مسبباً للسرطان، وقد يصاب بالأذى الأطفال الذي يلعبون عند العجلات المحترقة، وحتى عندما ينظرون إليها»^(٣). وأوضح رونالد ونعيمة لافيت، في مجلة *لوموند ديبلوماتيك*، بأن الهيئة البريطانية المذكورة قد نهت إلى أن «هناك بعض المناطق التي أطلق فيها ما يكفي من الطلقات والقذائف ليكون التلوث الإشعاعي للسيارات والعربات والأرض فيها قد تجاوز الحدود المسموح بها، وأصبح يشكل

(٢) Nick Cohen, «Radioactive Waste Left in Gulf by Allies», *Independent on Sunday* (10 November 1991).

(٣) Felicity Arbuthnot, «'Allies' Shells Leave Deadly Radiation», *Scotland on Sunday* (18 March 1993).

خطراً على فرق التنظيف والسكان المحليين في آن واحد»، مؤكدة «أن الخطر الأكبر يأتي من غبار اليورانيوم المتولد من انفجار القذائف بعد إصابتها للدبابات والعربات وحرقها.. وهي من الناحية الكيميائية سامة جداً للكلية البشرية، وإشعاعياً - خطرة على الرثتين»^(٤). وقد علق روس ب. ميركاريمي - خبير البيئة في مركز بحوث رقابة الأسلحة (ومقره في سان فرانسيسكو) قائلاً: «إن النتائج البيئية للحرب لم تقتصر على منطقة القتال، وما لم يجر تحليل صحيح لمنع آثار الحرب الطويلة الأمد، فقد يصبح عشرات الآلاف من المدنيين الأبرياء، على بعد يصل إلى ألف ميل، ضحايا لإصابات إضافية»، وأضاف: «من المحتمل جداً أن يدفع الأطفال غير المولودين حتى الآن في المنطقة الثمن الأغلى، ألا وهو سلامة عواملهم الوراثية»^(٥). وضمن تحذيراته بمخاطر اليورانيوم المستخدم للأغراض العسكرية كتب البروفسور الأمريكي ليونارد ديتز في مجلة أخبار الكيمياء والطاقة، عام ١٩٩١، مقالاً تساءل فيه بحق: «إذا كانت سلطات ولاية نيويورك منشغلة بأنبعاث إشعاعي شهري يعادل ما ينبعث من جزئيات أو ذرات صادرة من قذيفة أو قذيفتين تحتويان على اليورانيوم المضعف (DU)، فلماذا لم تقلق الحكومة الأمريكية من نتائج وتبعات عشرات الآلاف من القذائف الحاوية لليورانيوم، التي أطلقتها خلال أيام معدودات في حرب الخليج؟»، ملمحاً في مقاله إلى الضجة التي أثارت في الولايات المتحدة عقب اكتشاف طارئ لتسرب إشعاعات اليورانيوم المضعف من مرشحات الهواء في مصنع «National Lipid Industry»، الذي اتضح أنه يُصنّع للجيش الأمريكي ذخيرة من قذائف عيار ٣٠ ملم حاوية على اليورانيوم المضعف، فأوقف عمله، ومن ثم أغلق نهائياً، وكان البروفسور ديتز قد شارك في التحقيق الذي أجري بشأنه، وصادف مع انتهاء حرب الخليج الثانية. وأشار ديفيد أولبرايت في «Bulletin of the Atomic Scientists» في أيار/مايو ١٩٩٣ وجود ٣٠٠ طن (مصادر أخرى عديدة أكدت أنها نحو ٨٠٠ طن - كما سيرد) من اليورانيوم المشع في مناطق شاسعة من الكويت والعراق، مؤكداً أن الإشعاع المؤين (ألفا وغاما) يسبب السرطان^(٦). وأشارت هيئة الطاقة الذرية البريطانية في تقرير لها إلى وجود ما يكفي من اليورانيوم في الكويت وجنوبي العراق ليسبب وفاة ما يحتمل أن يصل إلى نصف مليون نسمة، ونهبت إلى أن اليورانيوم الناضب سينتشر بأحجام وكميات مختلفة، تتراوح بين ذرات الغبار وقطع وطلقات كاملة خارقة، مما سيشكل مشكلة كبيرة في المنطقة.

ومن آثار المعضلة في المنطقة نشير إلى أن العالم الألماني وطبيب الأطفال المشهور سيفغرت هورست - غونتر نشر، في هذا المضمار، العديد من أبحاثه الميدانية والعلمية حول أضرار ذخيرة اليورانيوم التي حلت بأطفال العراق والكويت والسعودية^(٧). ونبه البروفسور ديوراكوفيتش إلى

(٤) رونالد ونيمية لافيت، «أسلحة إشعاعية ضد العدو العراقي»: حقائق مرعبة جديدة حول حرب الخليج الثانية، «لوموند ديبلوماتيك» (نيسان/أبريل ١٩٩٥)؛ ترجمة جواد بشارة، رسالة العراق، العدد ٦ (١٩٩٥).

(٥) Ross B. Mirkarimi, «The Environmental and Human Health Impacts of the Gulf Region with Special Reference to Iraq», (Arms Control Research Centre, San Francisco, now Arc Ecology, May 1992).

David Albright, «The Desert Glows with Propaganda», *Bulletin of the Atomic Scientists* (٦) (May 1993), pp. 11-12 and 46.

Sieghart-Horst Guenther. «How Do Shell Residues Poison Iraq, Kuwait and Saudi Arabia», (٧) *Metal of Dishonor* (1997), and

سيفغرت - هورست غونتر، «أعراض حرب الخليج تكشف استخدام «يورانيوم»»، نيوزويك، ترجمة الوفاق الإسلامي، العدد ١١٢.

أن أضرارها تهدد الكويت والسعودية وقطر والبحرين، إضافة إلى العراق^(٨). وأشار بحث للدكتور فهد الخضيرى - من مستشفى الملك فيصل التخصصي في الرياض بالسعودية - قدمه أمام مؤتمر دولي حول البيئة عُقد في الكويت (ونشرت مجلة العربي تفاصيل عنه) إلى أنه قد تم تجميع عينات من الهواء لمدينة الرياض قبل وبعد حرب الخليج الثانية لمعرفة مدى احتوائه على العناصر المسببة للسرطان، فأظهرت نتائج التحليل أن هناك زيادة في نشاط المواد السرطانية في الهواء يمكن أن تؤثر في سكان الرياض، وأن تقويم ذلك يتطلب إجراء دراسة تفصيلية في علم الأوبئة للرياض والمناطق المحيطة بها^(٩). إلى هذا تضيف التقارير الطبية أن عدد حالات السرطان التي يتم تسجيلها في السعودية سنوياً لا تقل عن ٧٠٠٠ حالة، ويحتل سرطان الدم مرتبة متقدمة لدى الأطفال السعوديين المصابين - ٢٢ بالمئة من إجمالي عدد الأطفال المصابين بالسرطان ذكوراً وإناثاً - ويأتي سرطان المخ بالمرتبة الثانية (٩,٦ بالمئة)، إضافة إلى ازدياد حالات التشوهات الجينية لدى الحديثي الولادة. وفي الرياض، وغيرها من المدن السعودية، التي سجلت فيها الأضرار الصحية، ذات العلاقة بالأسلحة غير التقليدية التي استخدمت في الحرب، هي بعيدة، نسبياً، عن مسرح العمليات الحربية، إلا أنها لم تسلم، كما يبدو جلياً، من غبار اليورانيوم والإشعاعات القاتلة. وفي الكويت التي تقدر المصادر العسكرية أن نحو ١٦٠ طناً من اليورانيوم أسقطت في أراضيها، فلم تتوفر لدينا أية معلومات عن الأضرار الحاصلة هناك، بل «ولأن الكويت حررت من قبل قوات التحالف، التي قادتها الولايات المتحدة، فإن المحللين يقولون إن موقف الكويت الرسمي هو في «خطوة متوافقة» مع البنتاغون، أي بتعبير آخر فإن مخلفات اليورانيوم الناضب ليس لها أخطار على المدى البعيد - «أنه سليم بالنسبة للسكان - يقول يوسف بكر، مدير قسم الحماية من الإشعاع في الكويت - ولا يوجد تلوث أعلى من المستويات العادية له»، لكن أحد كبار العلماء الكويتيين عقب على هذا النفي، بأن الجواب «هو جواب سياسي»^(١٠). ومما يكذب هذا المسؤول أن أحد العاملين في وكالة الطاقة الذرية العراقية قام، في العام الماضي، تحت مراقبة مراسل كريستيان ساينس مونيتور، برصد الإشعاعات في موقع إشعاعي، في منطقة نائية تقع قرب الحدود العراقية - السعودية، فسجل، بواسطة كاشف محمول للإشعاعات، مستويات إشعاع تزيد ٣٥ مرة على المستويات الطبيعية. ويؤكد عبد الجليل زيد مرهون، في كتابه **أمن الخليج بعد الحرب الباردة**: «اليوم، بعد ست سنوات، على حرب الخليج الثانية، يمكننا القول أن نتائج هذه الحرب ستواصل امتداداتها في البيئة الخليجية لسنوات عديدة قادمة»^(١١). وقبل هذا كان مركز التوثيق الهولندي (Stitching LAKA) قد أكد في استنتاج له «أن النوع الجديد من الموت البطيء، الذي نقلته أكثر الحروب تسميماً في التاريخ يشمل ما يقدر بـ ٨٠٠ طن من غبار وجزيئات اليورانيوم الناضب المستمر في الهبوب عبر الجزيرة العربية لعقود عدة في المستقبل تكفي لجعل هذه العملية معروفة جيداً في السجلات الطبية»^(١٢). ومن بين الأخطار الصحية التي أشار إليها تقرير لمنظمة الصحة العالمية في عام ١٩٩٢: تناقص وزن

(٨) عساف ديوراكوفيتش، في برنامج حول حرب الخليج الثانية، عبر قناة الجزيرة (قصر)، ١٢/١١/١٩٩٨.

(٩) زكريا عبد الجواد، «الكويت استضافت مؤتمراً دولياً لبحث احتمالات المستقبل: البيئة». دفعت ثمناً فادحاً، **العربي**، العدد ٤٦٣ (حزيران/يونيو ١٩٩٧)، ص ١١٠ - ١١١.

(١٠) سكوت بيترسون، «مزامم متضادة حول دور اليورانيوم الناضب في تدهور الوضع الصحي في العراق والكويت»، **الشرق الأوسط**، العدد ٧٤٦٥.

(١١) عبد الجليل زيد مرهون، **أمن الخليج بعد الحرب الباردة** (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩٧).

(١٢) Fact Sheet 2, Stitching LAKA, Ketelhuisplein 43, 1054 R D Amsterdam, Netherlands.

المواليد الجدد، وزيادة التشوهات الخلقية، وحالات الإجهاض، وزيادة في إصابات بعض أنواع السرطان، وغيرها^(١٣).

المؤسف أن الحكومات العربية المعنية تواصل، منذ تسعة أعوام، ولحد اليوم، تكتمها على الأضرار الحاصلة في بلدانها، والتي ستنتقل، بالتأكيد، إلى الأجيال اللاحقة، والتكتم وإخفاء المخاطر ليس لصالح الضحايا الأبرياء، ولا لشعوب المنطقة..

أما في العراق، فحدث ولا حرج لعظم الكارثة ومآسيها ومخاطرها البالغة.. فعلى الرغم من أن حجم الأضرار، المباشرة وغير المباشرة، لاستخدام الأسلحة المحظورة دولياً، لا يمكن، في الوقت الحاضر، تحديده بدقة (ولن يتم هذا إلا بجهود دولية مشتركة، وبتضافر مساعي كافة حكومات المنطقة، ويستلزم عملاً جدياً ودؤوباً تشترك فيه العديد من المؤسسات المعنية ومراكز أبحاث وكوادر علمية متخصصة، ويتطلب وقتاً غير قليل)، إلا أن النتائج الأولية، التي ظهرت خلال السنوات الثماني المنصرمة، وحتى الآن، تؤشر، بما لا يقبل الشك، إلى كارثة بيئية وبشرية مروعة، لم يشهد تاريخ العراق الحديث مثيلاً لها، ولن تقتصر أضرارها على الجيل الحالي وحده، بل ستطال الأجيال القادمة بالتأكيد.

يقول هيثم الزبيدي بحق: لا يحتاج العالم إلى أدلة كثيرة لكي يثبت أبعاد كارثة استخدام اليورانيوم المنضب، فإحصاءات المنظمات الدولية تؤكد بأن مجموع ضحاياها في جنوب العراق يصل إلى نصف مليون عراقي. وربط أكثر من فريق طبي دولي بين تزايد حالات السرطان لدى فئات عمرية يندر أن تصاب به، وكذلك التشوهات الخلقية، وبين انتشار اليورانيوم^(١٤). ولم يشك نسوق هنا بعضاً من القرائن والدلائل الكثيرة:

يشير الباحث جيف سيمونز في مؤلفه القيم التنكيل بالعراق: العقوبات والقانون والعدالة^(١٥) إلى أن القوات الأمريكية استخدمت ليس فقط قذائف اليورانيوم، بل النابالم (المعروف ببشاعة ما يسببه لضحاياها، كالحرق التام) والذي استخدمت منه طائرات الأسطول الحربي الأمريكية وحدها - تبعاً لفريق بريطاني اطلع على مستندات وزارة الدفاع الأمريكية - ٤٨٩ قنبلة، وقنابل «روك اي» العنقودية (التي تحتوي الواحدة منها على ٢٤٧ قنبلة يدوية ضد الأفراد، تنفجر إلى ٢٠٠٠ شظية عالية السرعة كاللوسى تمزق الأشخاص)، ومتفجرات الوقود - الهواء (FAEs) (التي أحدثت كرات نارية ضخمة على المواقع العراقية، وسببت - كما يقول خبير الأسلحة مايكل كلير - «مستويات شبه نووية من التدمير»)^(١٦)، إلى جانب القنابل التقليدية. ويتوقع الباحث: «أن الأمريكيين استعملوا - كما في الحروب السابقة - أجهزة الفوسفور الأبيض الحارق». ويضيف: «لقد أحدثت الحرب البشعة المجزرة المتوقعة باستخدام آليات القتل المعروفة، إلى جانب آليات أخرى، ربما لم تكن متوقعة على نطاق واسع. على سبيل المثال أطلقت الغبار المشع من قذائف اليورانيوم بكميات كبيرة، والذي يعرف بأنه يسبب عجز الكلية، والسرطان، وأمراض أخرى».

(١٣) World Health Organization [WHO], *Report of WHO Commission on Health Environment* (١٩٩٢) (Geneva: WHO, 1992).

(١٤) هيثم الزبيدي، «اليورانيوم المنضب: في الخليج، نعم، في أوروبا...»، العرب، ٢٠/٤/١٩٩٨.

(١٥) جيف سيمونز، *التنكيل بالعراق: العقوبات والقانون والعدالة* (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨).

(١٦) *Washington Post*, 16/2/1991.

وأكدت التحقيقات الصحفية الميدانية، التي أجراها: روبرت فيسك (في صحيفة *الأنديبندينت*) وجولي فلينت (في *الأوبزرفر*)^(١٧) ومايكل كلي (في *الغارديان*)^(١٨)، إختبار نوع من السلاح المتطور الذي يولد حرارة غير معهودة، استخدم ضد الجنود العراقيين على طول طريق المطلاع، كانت الحرارة تذيب زجاج السيارات وغيرها، محولة إياها إلى قطيرات السيلكون، كما تسببت بانفجار أدوات أخرى، وإلى ذلك كانت تحدث في الأجسام أضراراً غريبة.. في مؤلفه *القسوة والصلمت* يسرد عنها كنعان مكية مشاهد بشعة ورهيبة^(١٩).. وثمة العديد من المصادر التي تصف مجازر الحرق وتقطيع الأوصال والأشلاء المسلوخة والمتفحمة. ومن أبشعها ما حدث في ملجأ العامرية ببغداد، الذي أصيب بصاروخ قتل أكثر من ٤٠٠ مدني، «وكان بعض الجثث قد تفحمت والبعض الآخر بدا وكأنه ذاب وانصهر مندمجاً ببعضه البعض، والأذرع والسيقان بدت مثل جذوع مقطعة. في الواقع لم يبق من مشهد الأشلاء أصلها البشري»^(٢٠).

تقدر العديد من الدراسات والتقديرات بشأن حرب الخليج الثانية أن مجموع الطلعات الجوية لقوات التحالف ضد العراق، بحلول نهاية شباط/فبراير، بأكثر من ١٠٠ ألف طلعة، وأن طائراتها أسقطت على العراق، بين ١٦ كانون الثاني/يناير و٢٧ شباط/فبراير ١٩٩١ زهاء ٨٨ ألف طن من القنابل، أي ما يعادل القوة التفجيرية لـ ٧ قنابل ذرية من قنابل هيروشيما، بمعدل قنبلة واحدة كل أسبوع. وقد استخدمت قوات التحالف، وبخاصة القوات الأمريكية والبريطانية، شتى أنواع الأسلحة، حتى المحرمة دولياً - كما أسلفنا. فكانت «أكثر الحروب تدميراً في التاريخ الحديث، وحولت العراق إلى مجرد معسكر إبادة»^(٢١) - كما وصفها وليم أركين - مدير البحوث العسكرية في الولايات المتحدة، وقال عنها إدوارد بيرس: «إننا نقلل الناس بالطريقة الأكثر وهنا وعلى نحو غير مهال بالأخلاق»^(٢٢). وعلق المؤرخان العسكريان روبرت بيبب وكارولين جيمكي، بحق: «إن الضرب الجوي الذي اتجه إلى عملية لا يمكن وصفها إلا بأنها محاولة لتمزيق مجتمع بأسره وليس مجرد قواته المسلحة». وأشار عضو البرلمان الكويتي الأسبق د. عبد الله النفيسي، نقلاً عن صحيفة *نيويورك تايمز* إلى أن الضربات الأمريكية في عام ١٩٩١ أصابت فقط ٧ بالمئة من المواقع العسكرية، و ٢٣ بالمئة من الصحراء، أما البقية - وهي ٧٠ بالمئة - فقد كانت مواقع مدنية. وتأكيداً لهذا أشار أحد التقارير إلى أن القصف دمر، من بين ما دمر، ٢٨ مستشفى مدنياً، و ٤٥ مركزاً صحياً، و ١٥٧ مركزاً لخدمات الماء والكهرباء، و ١٢٠ مزرعة، و ١٦ جامعة وكلية، و ٦٤٦ مدرسة ابتدائية وثانوية، و ٣٥٠ مخزناً وسوقاً تجارية، و ٦٨ مصرفاً، والمئات من المنشآت الاقتصادية والاجتماعية الأخرى، كالمختبرات، ومذاخر الأدوية، والصيدليات، وسالونات الحبوب، وحتى المواقع الأثرية.

من جهة أخرى، صرح خبير عسكري لصحيفة *واشنطن بوست* أنه «يقدر أن ما لا يقل عن ٦٠٠ قنبلة وصاروخ وقذيفة مدفعية أسقطت، أو أطلقت، يومياً، أثناء حرب الخليج، ولم تنفجر، وتشكل بذلك خطراً مستمراً في مكان ما في منطقة القتال السابقة» وفي الوقت الذي ادعت

Observer, 3/3/1991.

(١٧)

Guardian, 11/4/1991.

(١٨)

(١٩) كنعان مكية، *القسوة والصلمت* (د.م.: د. ن.، ١٩٩٦).

(٢٠) المصدر نفسه.

(٢١) سيمونز، *التنكيل بالعراق: العقوبات والقانون والعدالة*، ص ٥٥.

Edward Pearce, «Death and Indecency in a Time of Cholera», *Guardian*, 25/10/1991.

(٢٢)

فيه الحكومة البريطانية أن قواتها أطلقت ٤٣ قذيفة يورانيوم، أشار الخبراء إلى أن قوات التحالف ألقت أكثر من مليون قذيفة على العراق، حاوية اليورانيوم المشع، وأن الدبابات الأمريكية، وحدها، أطلقت ٥٠٠٠ - ٦٠٠٠ قذيفة يورانيوم مضعف (DU)، بينما أطلقت الطائرات مئات الآلاف من هذه القذائف، محطة أكثر من ١٠٠٠ دبابة ومركبة عسكرية عراقية. ويقدر الجيش الأمريكي كمية اليورانيوم، التي خلقتها قوات التحالف ضد العراق، والمتراكمة في ميادين حرب الخليج الثانية، بـ ٣٠٠ طن، بينما تقدر مصادر دولية مستقلة الكمية بـ ٧٠٠ - ٨٠٠ طن، لا تزال على أرض تلك المناطق..

لقد «أثبتت منظمات الطاقة العربية والعراقية وجهات بحثية أخرى تعرض المنطقة الجنوبية في العراق إلى تلوث إشعاعي خطير، وصل إلى ما يعادل ١٤ ضعفاً للمعدل العالمي المسموح به»^(٢٣). وتؤكد التقارير العسكرية أن الألوف من الجنود العراقيين لقوا مصرعهم مباشرة بتلك القذائف، أو نتيجة التعرض لها. وتقدر مصادر أخرى أن تلك الذخائر سببت، في الأشهر الثمانية الأولى من عام ١٩٩١، موت زهاء ٥٠ ألف طفل عراقي، نتيجة إصابتهم بأمراض مختلفة، نجمت عنها، ومنها: السرطان وعجز الكلية، وأمراض داخلية أخرى لم تكن معروفة سابقاً. ويؤكد د. نافع عزيز العاني أنه نتيجة لتلوث مساحات شاسعة من جنوب العراق بإشعاعات اليورانيوم الناضب، حدثت زيادة كبيرة في تسجيل الإصابات السرطانية المختلفة، ويؤشر خط حدوثها تصاعداً، وخصوصاً بين العسكريين..

ومن الأضرار التي نجمت عن حرب الخليج الثانية (عدا ما خلفته من دمار هائل، وخسائر بشرية جسيمة مباشرة) إنها حولت أجزاء كبيرة من الأراضي العراقية إلى بيئة ملوثة ونشطة إشعاعياً، نتيجة للأسلحة المحطمة والألغام، والذخيرة الأخرى، المتفجرة وغير المتفجرة، والملوثات الكيميائية، والركام النشط إشعاعياً، المتناثرة في الصحراء العراقية. ولا تزال الانقراض الملوثة بالإشعاع، المتراكمة حول البصرة، باقية ولم ترغ، والأطفال يلعبون هناك ويفككون بقايا أجزائها. والخبراء واثقون من أن التربة والمياه وجميع المواد الغذائية تعرضت للتلوث. ولم يحم أحد بتحذير الفلاحين من الزراعة هناك. وكانت الأبقار والأغنام ترعى في تلك المناطق الملوثة، وقد تناول آلاف الناس منتجات المنطقة. وقوات التحالف ضد العراق، من الأجانب والعرب، الذين استخدموا تلك الذخائر، لم يبالوا بحياة السكان المدنيين الأبرياء.. وإزاء المأساة البشرية الفظيعة، والكارثة البيئية القائمة، التي شاهدها بأم عينيه النائب البريطاني جورج غالوي، طالب بإجراء تحقيق دولي حول حالات السرطان المنتشرة في جنوب العراق، معرباً عن تخوفه من أن تكون تلك الحالات مرتبطة باستخدام قوات التحالف للقذائف الحاوية على اليورانيوم. واقترح إرسال اختصاصيين في أمراض السرطان لتحديد أسبابها.. بيد أن الحكومة البريطانية ليس فقط لم تأخذ باقتراحه، بل فعلت العكس، مما دفع الخبير الطبي مالكولم هوبير (المكلف من قبل الحكومة البريطانية بالتحقيق حول الأعراض الغريبة التي يعانيها الجنود البريطانيون المشاركون في حرب الخليج الثانية) باتهام وزارة الدفاع البريطانية، في أواسط تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٨، بإخفاء وثائق كان يحتاج إليها في إطار تحقيقه. وحتى بعد اقتضاح موقفها واصلت الحكومة مساعيها لحجب الحقيقة، أسوة بزميلتها الأمريكية، وبالتنسيق معها..

- ٤ -

لعل أبلغ ما يدل على سبق الإصرار والترصد للجريمة النكراء، هو ما كشف عنه مركز التوثيق (Stitching LAKA) في امستردام، في بحث نشره في حزيران/يونيو ١٩٩٤، من «أن ذخيرة اليورانيوم الناضب (DU) قد نجحت في تجارب ميادين القتال في العراق، وأن تجهيز القوات الأمريكية باليورانيوم الناضب أرخص طريقة للتخلص من النفايات النووية... ومن هنا فإن الإدارتين الأمريكية والبريطانية لم تعيرا التحذيرات التي أطلقت أي اهتمام، ولم تأبها لملاحظات العلماء، وفي مقدمتهم البروفسور الألماني سيغفرت هورست - غوتتر، الذي هو أول من زار العراق، ولمرات متعددة، أولها في عام ١٩٩١، والتي شاهد خلالها ظاهرتين: أولاهما: لعب الأطفال العراقيين في بغداد والبصرة بقطع حديدية مدببة بحجم السيجار (جلب نماذج منها إلى ألمانيا، وتبين بعد فحصها من قبل خبراء في مستشفى جامعة برلين الحرة، أنها قذائف من اليورانيوم ذات إشعاع عال وخطير، استخدمتها القوات الأمريكية لتحطيم الدبابات العراقية، وهي أول من جرب هذا السلاح الجديد «حياً» في المنطقة). وثانيتهما: ظاهرة امتلاء المستشفيات العراقية بالأطفال المصابين بفقر الدم، وسرطان الدم، والأورام الخبيثة، وغيرها. وقد نشر مشاهداته وانطباعاته في صحيفة دويس دويتشلاند الألمانية^(٢٤)، وأصدر ثلاثة كتب وألقى مئات المحاضرات العلمية، تناول فيها الأضرار الخطيرة لذخيرة اليورانيوم الناضب، وبخاصة على الأطفال. وآخر أعماله - حتى كتابة هذه السطور - مشاركته في مؤتمر بغداد السالف، وقدم فيه محاضرة بعنوان «تأثير اليورانيوم المخصب على المدنيين».

واليوم توجد نماذج من السلاح المحرم دولياً الذي استخدمته الولايات المتحدة وبريطانيا، متناثرة في أرجاء العراق. أكد هذا الصحفي فارس أبي صعب، الذي أفاد في صحيفة السفير عن «اكتشاف العراقيين مؤخراً لقنبلة غير منفصلة في إحدى المناطق الصحراوية العراقية، التي كان الأمريكيون يتركزون فيها، تحتوي على مواد إشعاعية عالية»^(٢٥). وبعد هذا أعلن عن اكتشاف المزيد من هذه القنابل. وكان غريغ فيلو وغريغ ماكلوغلين قد كتبا، عام ١٩٩٣ في مجلة *New Statesman and Society* اللندنية، مؤكدين بأنه «في الحقبة التي تلت حرب الخليج الثانية لاحظ الأطباء العراقيون والأجانب زيادة سريعة في عدد الأطفال المصابين بالسرطان، خصوصاً سرطان الدم، وفي الوقت نفسه ذكر العاملون في الأمم المتحدة ومنظمات المساعدات الإنسانية، أن الأطفال العراقيين يلعبون بقذائف ذخيرة فارغة ودبابات دمرت بأسلحة استعمل فيها اليورانيوم الناضب، وطلقات مشعة، تنتشر في مناطق شاسعة من العراق. فبدأ من المعقول الاستنتاج بوجود صلات (وستظل موجودة) بين الركاب ذي النشاط الإشعاعي وازدياد انتشار السرطان»^(٢٦).

واليوم تتجلى في أرجاء العراق، على نحو صارخ وبشكل أوسع، مؤشرات الكارثة الصحية، الناجمة عن التلوث البيئي، ومنها: كثرة حالات الإسقاط (الإجهاض)، والولادات الميتة، والتشوهات الجنينية، والولادات الخديجية، والناقصة الوزن، وغيرها، إضافة إلى انتشار حالات

(٢٤) دويس دويتشلاند: ١٩٩٣/٨/٤ و ١٩٩٤/٩/٨.

(٢٥) فارس أبي صعب، «مشاهدات من داخل العراق»، السفير، ١٩٩٨/٣/٩.

(٢٦) Greg Philo and Greg McLaughlin, «The First Casualties of War» *New Statesman and Society* (London) (29 January 1993).

السرطان، وفي مقدمتها سرطان الدم، بين الأطفال، والتي أدت إلى موت مئات الألوف منهم. وهنا نشير إلى بضعة أمثلة: في عام ١٩٩٤ ازداد معدل المواليد الناقصي الوزن قرابة الـ ٥ أمثال ما كان عليه في عام ١٩٩٠. وتشير آخر الإحصاءات الطبية إلى ارتفاع المعدل الشهري للمواليد الناقصي الوزن - (Low Birth Weight Infants (under 2.5 kg)) من ٤,٥ بالمئة في عام ١٩٩٠ إلى ٢٨,٧ بالمئة في عام ١٩٩٨. وبينت دراسة طبية لقسم الأطفال في مستشفى العمارة (جنوب العراق) ارتفاع نسبة حالات التشوهات الخلفية لدى حديثي الولادة في المنطقة، خلال العامين اللذين أعقبا حرب الخليج الثانية، من ٣,٥ إلى ٣٢,٣ بالمئة. وأكد الدكتور ثامر حمدان أنه شاهد زيادة مدهشة في حالات التشوهات الخلقية والإصابات بالسرطان بين المدنيين في البصرة. وأكد أطباء آخرون لمراسل كريستيان سمينس مونيتور ازدياد حالات التشوهات الخلفية بمعدل ثلاثة أضعاف منذ حرب الخليج. وفي بغداد بينت الدكتورة تماضر الظاهر رئيسة قسم الأطفال في مستشفى «الثورة» ارتفاع نسبة هذه التشوهات من ٤ بالمئة في عام ١٩٩٠ إلى ١٨ بالمئة في عامي ١٩٩٣ و ١٩٩٤. وأكد الدكتور اسماعيل الخطيب تعرض الشعب العراقي «إلى العديد من الأمراض نتيجة لحرب الخليج الأخيرة... فقد ارتفعت نسبة الوفيات بين الأطفال أضعافاً مضاعفة، وزادت نسبة السرطانات بمعدل ٢٠ - ٣٠ مرة. وليس غريباً أن يكون مصدر السرطانات والأمراض الوراثية والتشوهات الخلقية التي نراها الآن، ناتجاً من المواد الكيميائية واليورانيوم الناضب، الذي استخدم في تلك الحرب لأول مرة»^(٢٧). ونقل عن الدكتورة فتوح الجبلي (استشارية الأمراض النفسية في مستشفى ساتوت في ضواحي لندن، وهي شاهد عيان وزارت العراق مرات عديدة، وعن إطلاق واسع بالأوضاع الصحية العراقية، وكانت قد التقت بالبروفيسور غونتر هناك، الذي اطلعها على استخدام قوات التحالف ضد العراق لأسلحة مصنعة من اليورانيوم) تأكيداً القاطع بزيادة حالات السرطان الناجمة عن تلوث التربة والغذاء وكل مكونات البيئة العراقية تلوثاً كاملاً بواسطة اليورانيوم الناضب. وأوضحت أن أكثر حالات السرطان شيوعاً هي: سرطان الدم (لوكيميا) وسرطان الغدد اللمفاوية، وسرطان الدماغ، وسرطان الأعضاء التناسلية، مؤكدة بأن الدراسات الأخيرة، وبخاصة في جنوب العراق، تشير إلى ارتفاع نسبة السرطان بمعدل ما بين ٤ - ٢٠ مرة وأكثر في بعض المناطق. ويضيف الدكتور سلمان الرواف (الأستاذ المشارك في كلية طب سان جورجس، ومدير الصحة في منطقة جنوب غرب لندن) أن التقارير العلمية الأولية تشير إلى ازدياد أمراض السرطان في بعض مناطق العراق، وبخاصة في الجنوب، ما بين ٢٠ - ٤٠ مرة، وأن الكثير من العلماء يؤكدون، ارتباطاً بالنسبة الكبيرة من القذائف المستخدمة في الحرب من نوع اليورانيوم الناضب، تأثيرها الكبير في صحة المواطنين وزيادة نسبة الأمراض السرطانية فوق النسب المتوقعة، مبينين تأثيرها المباشر في الأطفال والمسنين والنساء الحوامل، وغير المباشر في الأطفال غير المولودين، وفي الأجيال المقبلة.

وأكد روبرت فيسك في الانديبينديننت نقلاً عن أطباء عراقيين في مدينة البصرة تضاعف عدد الإصابات بالسرطان هناك، ولا سيما بين الأطفال، ٤ مرات، منذ عام ١٩٩١، وهم يخشون أن تكون الحقول والمزارع، التي تنتج غالبية أغذية سكان البصرة، قد تلوثت بسبب الصواريخ

(٢٧) اسماعيل الخطيب: «أكثر الأمراض شيوعاً في العالم العربي (٥/٣)»، الشرق الأوسط، العدد ٧٨٤٥: «الوضع الصحي والأمراض الناجمة عن حرب الخليج»، الشرق الأوسط، العدد ٧٠٥٠، و «ازدادت حالات السرطان في العراق ٤ أضعاف»، الشرق الأوسط، العدد ٧٠٨٢.

التي استخدمت في المرحلة الأخيرة من الحرب وتحتوي على عنصر اليورانيوم. وأفاد تقرير لفيلستي أربثنوت في الصحيفة نفسها ارتفاع نسبة إصابات السرطان في العراق إلى ٦ أضعاف ما كانت عليه قبل الحرب، ويعزى هذا الارتفاع السريع إلى تأثيرات قنابل اليورانيوم، وجاء فيه «أن غبار اليورانيوم يبقى مشعاً ومصدراً للأمراض، تنقله الرياح من مكان إلى آخر، آلاف السنين». وتشير آخر الإحصاءات الطبية إلى ارتفاع النسبة إلى ٧ أضعاف.. وكانت د. أنسام البياتي من جامعة المستنصرية ببغداد، قد كشفت، في دراسة سريرية بايوكيميائية، أن ٦٠ بالمائة من الأطفال العراقيين كانوا مصابين بسرطان الدم خلال عامي ١٩٩٤ و ١٩٩٥، وقد مات معظمهم. وبينت د. منى الهاشمي أن نسبة سرطان الدم ازدادت، بعد الحرب، في محافظات: المثنى ٣٥٠ بالمائة، والقادسية ١٨٣ بالمائة، والبصرة ١٥٦ بالمائة. وأكدت د. ميسون كامل حسن أن سرطان الغدة النخامية بلغ في العراق أعلى نسبة في العالم ١٣ بالمائة. وأعلن د. فائق السامرائي - مدير «مستشفى الإشعاع والطب النووي» في بغداد - أن نسبة الإصابة بسرطان الثدي، لدى النساء بعمر دون الثلاثين سنة، قد ارتفعت من ٦ بالمائة إلى ٢٥ بالمائة عام ١٩٩٥. وصرح وزير الصحة أوميد مدحت مبارك أنه قد وجد بالفحص الطبي أن كافة المواطنين القاطنين في المناطق القريبة من الكويت مصابون بالسرطان، وكافة النساء يعانين من الإجهاض غير البرر، وتكثر هناك التشوهات الخلقية. وأكد د. نافع عزيز العاني، في أواخر عام ١٩٩٨، حدوث زيادة في تسجيل الإصابات السرطانية المختلفة، وأشار خط انتشارها تصاعداً واضحاً، وفي مقدمة الإصابات سرطان الغدة اللمفاوية والدم، مشيراً إلى تغير نمط الإصابات السرطانية، حيث يأتي سرطان الدم قبل سرطان القصبات الهوائية عند الرجال، وسرطان الثدي بالمرتبة الأولى لدى النساء. وأفاد داود البصري تزايد الوفيات بسبب سرطان الدم حتى وسط أطفال اللاجئين العراقيين في أوروبا، وخصوصاً بين الفئات الشابة الشاهدة على حرب الخليج الثانية. وأعرب لنا العديد من اللاجئين العراقيين في السويد عن أن قريباتهم، ومنهن من كن آنسات، واللواتي عايشن حرب الخليج الثانية، يعانين، منذ أن غادرن العراق، من فقر الدم والإجهاض المتكرر..

ومؤخراً كتب سكوت بيترسون يقول ان «تدهور الوضع الصحي في العراق دفع بمنظمة الصحة العالمية للعمل على النظر في موضوع دراسة ومسح عمليات تأثير اليورانيوم الناضب في العراق، وتنتظر المنظمة مصادقة الحكومة العراقية قبل الشروع بالدراسة»^(٢٨)، وقد علق البروفسور ميشيو كاكو - أستاذ الفيزياء بجامعة سيتي في نيويورك والمؤلف المشهور: «في النهاية، وعندما سيدول الفصل الأخير، فإن اليورانيوم الناضب سيكون مسؤولاً بشكل كبير عن تلك المشاكل الصحية»..

- ٥ -

بعد هذا العرض السريع لقسم من البراهين الكثيرة القاطعة والدامغة لإدانة الولايات المتحدة وبريطانيا لاستخدامهما ذخيرة اليورانيوم، التي تشكل «جريمة بحق البيئة البشرية والطبيعية، تستحق الإدانة الواسعة باعتبارها مواد محرمة دولياً»، نتساءل:

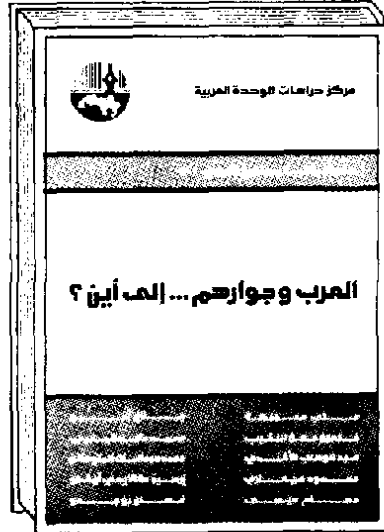
(٢٨) بيترسون، «مزاعم متضادة حول دور اليورانيوم الناضب في تدهور الوضع الصحي في العراق والكويت»..

هل ان الاتهامات الموجهة لأرباب ذخيرة اليورانيوم «عارية عن الصحة تماماً» - كما يزعمون؟
 وهل حقاً ان البنتاغون «لا علم له» بما سببته ذخيرته المحرمة دولياً لأطفال العراق والمنطقة؟
 ولماذا الإصرار على تجاهل إحدى جرائم الحرب والجرائم المرتكبة بحق الإنسانية، واللاإكتراث لما حصل ويحصل لبراعم حاضر ومستقبل العراق؟ أهى «شيم» و «بركات» النظام العالمي الجديد؟
 اليس هذا دليلاً آخر على ان من فرضوا انفسهم متحدثين باسم المجتمع الدولي والشرعية الدولية، ويتبجحون بـ «رعاية» حقوق الإنسان، ما هم في الحقيقة والواقع إلا مجرمو حرب ومرتكبو إبادة جماعية وراعون للإرهاب الدولي؟
 وإلى متى، ولمصلحة من، يجري السكوت على هذه الجريمة الدولية، المرتكبة مع سبق الإصرار والترصد، بحق الملايين من البشر؟
 وتساؤلنا الأخير مطروح، قبل كل شيء، على حماة حقوق الإنسان الحقيقيين، وكل ذي ضمير حي، في العالم أجمع! □

صدر حديثاً

العرب وجوارهم... إلى أين؟

(سلسلة كتب المستقبل العربي: ٢٠)



تتخذ التطورات الجارية من اقتصادية وسياسية واجتماعية في عدد من البلدان العربية، وفي دولتي الجوار تركيا وإيران، أهمية متزايدة تحث على متابعتها وتناولها بالتحليل بهدف استشراف آفاقها المستقبلية. لهذا الهدف قام مركز دراسات الوحدة العربية بتنظيم سلسلة من المحاضرات العامة حول هذه التطورات، وكان السؤال المطروح فيها واحداً، وهو... إلى أين؟

تطرح هذه المحاضرات قضايا ملحة على الساحة العربية، مركزة على الخصوصية التي تتسم بها في كل من البلدان العربية قيد البحث. ومن هذه القضايا: مستقبل الديمقراطية والمشاركة السياسية؛ المسائل الدستورية وحقوق الإنسان؛ الأوضاع الاقتصادية والديمقراطية؛ علاقة الاقتصاد الريعي بدولة الرعاية الاجتماعية؛ التحديات الاجتماعية ومخاطر البطالة والدين الخارجي؛ التحولات السياسية ومستقبل أنظمة الحكم؛ العلاقات العربية مع دول الجوار ومخاطر التطبيع؛ الأمن الإقليمي والوجود العسكري... الخ.

٢٨٠ صفحة

الثمن: ٨ دولارات